

المنظومة القيمية في السيرة الشعبية "التغريبة الهلالية" أنموذجا

The Value System in Folk Biography: "Al-Taghriba Al-Hilaliya" as a Model

سفير بدريّة

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان / الجزائر

badriasafir@hotmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/19

تاريخ الاستلام: 2025/03/15

ملخص:

تعد السيرة الشعبية من الروافد التي تشكل عنصرا أساسيا للأدب الشعبي لما تحتويه من حمولات الهوية والثقافة كما أنها استثمار في التاريخ بطريقة فنية متميزة تستحضر الأحداث عن طريق السرد الشفوي والمكتوب وتتقارب في سياقاتها الداخلية مع الملاحم القديمة على نحو يجمع فيه الباحثين أن السيرة الشعبية ولدت من رحم الملاحم ثم نأت بنفسها لتكون فنا عريقا تتجلى فيه المنظومات القيمية التي يشكلها المجتمع الذي نشأت فيه تعبر عن بطولاته انتصاراته و انكسارته بمعونة الخيال الرحب الذي تتفاعل فيه المكونات العقائدية بالعناصر الاجتماعية.

والتغريبة الهلالية من النماذج العالمية التي شغلت حقولا معرفية عديدة حاولت البحث فيها و عن القيم المجتمعية والأبعاد التاريخية والجمالية التي استهوت القدماء والمحدثين العرب والغرب بما تمتلكه من فنيات فريدة من نوعها ما مكنها من أن تكون من أهم السير الشعبية التي شاعت وانتشرت رواية كتابة لتعرض تفاصيل قبيلة بني هلال في مراحلها المختلفة من فترة الجاهلية إلى دخول الإسلام حيث تنقلب القيم وتتغير العادات والمعتقدات

الكلمات الافتتاحية: -المنظومة- القيم -التغريبة- قبيلة بني هلال -السرد-

Abstract:

The popular biography is one of the key elements that shapes the essence of popular literature, as it contains the weight of identity and culture. It is also an investment in history in a distinctive artistic way, recalling events through oral and written narration. Within its internal contexts, it closely resembles ancient epics, leading researchers to agree that the popular biography was born from the womb of epics, then distanced itself to become an ancient art form in which the value systems of the society it emerged from are reflected. It

expresses its victories, defeats, and heroism with the help of a vast imagination, where ideological components interact with social elements.

The Hilalian migration is one of the global models that have captivated many fields of knowledge. Researchers have explored the societal values, historical dimensions, and aesthetic aspects that fascinated both ancient and modern Arabs, as well as Westerners, due to its unique artistic features. This has enabled it to become one of the most important popular biographies that have spread widely through narration and writing, presenting the details of the Bani Hilal tribe in its various stages, from the pre-Islamic era to the advent of Islam, where values fluctuate and customs and beliefs change. The Hilalian migration is one of the global models that has engaged numerous fields of knowledge, where researchers have attempted to explore the societal values, historical dimensions, and aesthetic aspects that have captivated both ancient and modern Arabs and Westerners. This is due to its unique artistic techniques, which have allowed it to become one of the most important popular biographies that have spread widely through narration and writing. It presents the details of the Bani Hilal tribe in its various stages, from the pre-Islamic era to the advent of Islam, where values fluctuate, and customs and beliefs change.

Keywords: system, values, migration, Bani Hilal tribe, narration.

1. مقدمة :

من مكونات التراث اللامادي الأدب الشعبي الذي بدوره يضم فنونا عديدة من بينها السير الشعبية وهي أقدم الفنون التي كانت تلقى استحسانا كبيرا من قدماء العرب يتغنون بها في مواسم الفرح ابتهاجا بانتصاراتهم ويردونها في مجالسهم لأخذ الحكم والعبر وشغف بها المستشرقون واعتكفوا على دراساتها ومحاکاتها في خاصة القرنين السادس عشر والسابع عشر.

غير أن الاهتمام بها باعتبارها سجل للقبائل العربية لم يبق على حاله خاصة في الحقل الأكاديمي المعاصر ودليل ذلك أنها أصبحت تعد من الأدب الهامشي رغم الأبعاد المعرفية التاريخية والاجتماعية والنفسية التي تحتويها السير وخصوصية الأثر الأدبي الذي يفتح آفاقا جديدة للبحث عن أسرار الأسلوب العربي الذي جمع بين الأدب والتاريخ مع عنصر الوصف الذي يستثمر في الجمالية الفنية ومنه يكمن طرح الإشكالية التالية :

- ما هي المنظومة القيمية التي احتوتها السيرة الهلالية ؟

- إلى أي مدى يمكن اعتبار السيرة الهلالية وثيقة أدبية ساهمت في إثراء علوم كثيرة كالتاريخ وعلم الاجتماع ؟
وقد تبعا في بحثنا المنهج الوصفي الذي يمنح مجالا للتعمق في تحليل العناصر الفنية واستجلاء مضامينها الموارية خلف الأنساق السردية

أهداف البحث:

يسعى البحث لاستنطاق المسارات المتعددة للسيرة الهلالية واستخراج الأبعاد القيمة التي تحاكي الرجل العربي في مراحلها المتغيرة بدءاً من الجاهلية حيث منطلق الأحداث مروراً بالعصر الإسلامي ثم الهجرة الهلالية وما تخللها من حكم و مواعظ إضافة إلى تجسيد الملامح العامة والخاصة لقلبية بني هلال من خلال الشخصيات التي تتماثل فيما بينها في فضاءات مكانية و زمانية مختلفة

2. السيرة الهلالية ارتداد نحو التاريخ :

تعد السيرة الشعبية فن من الفنون الضاربة في التاريخ العربي تستأثر بمزاياها الخاصة التي تتفرد من خلالها عن باقي الفنون الأدبية الشعبية ارتبطت بفنون القول الشفهي الذي كان يعتمد على الراوي والقصص في مجالس العرب تعرف على أنها : "فن قصصي قائم بذاته له أصوله وقوانينه الفنية التي يسير عليها والأصل فيها حفظ الحوادث التاريخية وأنساب العائلات تجمع بين التاريخ والقص الشعبي"¹ . فالسيرة الشعبية تستحوذ على قدر هائل من المحطات التاريخية غير أنها خاضعة لشتى المتغيرات التي يمكن أن تطرأ على النص المروي وأثناء تسجيلها عن طريق الكتابة يقول سعد يقطين : "علاقة خطاب السيرة الشعبية بالخطاب التاريخي التقليدي هي العلاقة بين الرواية والتاريخ"²

2-1/ السيرة الشعبية عند العرب قديماً :

عرف العرب منذ القديم بولعهم الشديد بالقصص والحكايات التي ترتبط بالفرد بالقيم الجماعية وكان الأمر عادة عندهم يطرقونه في ليالي السهر له طقوسه التي تهيئ له وشروطه التي يستقيم عليها من قدرة لغوية وفصاحة بيان وقدرة على الوصف والتخيل مع جمهور منصت ذواق و تعد السيرة الشعبية فنا يستمد عناصر من هذه الشروط خاصة عندما يكون السرد شفهي مروي وقد أجمع الباحثون على دور العديد من القصصيين العرب في نشر السير وتيسير جمعها في متون أدبية منهم: تميم الداري وابن إسحاق وابن وهبة وعبيد ابن شربة يقول السيوطي : "و تلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الأشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص"³

2-2 بين السيرة والملحمة والبالادا :

قد يروم البعض أن السيرة والملحمة والبالادا تحتكم إلى تقابلات بسيطة في العناصر المكونة لها غير أن الواقع يبرهن على اختلافات دقيقة تحتاج للبحث والتقصي من أجل الفهم الدقيق بمزايا كل فن رغم التشابه الذي يتحلى في بعض التفاصيل خاصة بين السيرة والملحمة باعتبار أنهما يشتركان في المضامين والأهداف وفي طريقة العرض و التوصيف للأحداث بدقة متناهية من ناحية و الاعتماد على تجسيد البطولات وتخليد الذكريات من ناحية أخرى وقد حاول شوقي عبد الحكيم تحديد الفروقات الجوهرية من خلال كتابه السير والملحمة العربية إذ استغرق تاريخ السيرة والملحمة و البالادا حيث ليتوصل إلى النقاط المحددة في الجدول التالي :

الفروقات الجوهرية		
السيرة الشعبية	الملحمة	البلاد
-فن قصصي ثري قد يكون مرويا أو مكتوب	-قصة شعرية طويلة	-أغاني فلكلورية ملحمة
-تولي الاهتمام بالقرابة القبلية	-تعتمد الغنائية	-جنائزية
-هي تراجم تاريخية للملوك وأمرء وأتباع	-قديمة من حيث النشأة متصلة بالتفكير الميتافيزيقي للحضارات القديمة	-تتسم بالعنصر الدرامي
-تخضع للمتغيرات الواقعة عبر الزمن	-تجمع بين العوالم الثلاث الإنس والجن والحيوان	-تعالج قضايا اجتماعية شعائرية وروحية
-من أهمها :سيرة عمر النعمان/سيرة الزير سالم /سيرة الزبيق/سيرة الأميرة ذي الهمة	-تجسد تاريخ الحضارات القديمة وبطولاتهم العظيمة	-أقرب ما يكون إلى
سيرة سيف ذي يزن /السيرة الهلالية	-تنشد دون الاعتماد على الكتابة	الابتهالات
	-تحنح للخيال الرحب أهم الملاحم	-أهمها :الشهمانا الفارسية
	"الآرية الكبرى /أوغاريت/جلحامش وأنكيدو " 4	-أغاني رولان و وولف -
		-بالاند سفنغ دايرنغ الدانيماركية

ومن هذا الطرح تظهر الاختلافات بين الألوان الأدبية غير أنها قد تشترك في عناصر ثانوية خاصة ما تعلق بالبعد الواقعي والتاريخي "فالشخصيات والأحداث التي تشكل كل فن ما هي إلا ظلال للتاريخ" 5

فالواقع عنصر جوهري في صناعة الأجناس الأدبية ومن ضمنها السيرة الشعبية التي تتفرد في طريقة صياغتها ووظيفتها وأبعادها الدلالية التي ترسخ فيها القيم الاجتماعية والدينية والتاريخية وكذا السياسية ولهذا كانت السير الشعبية مجلدات طوال بل أجزاء متتالية من القص و الحكى الذي يبنى الحوارية تارة والرواية والوصف تارة أخرى وهذه بعض السير الشعبية وعدد أجزاءها وصفحاتها :

ذات الهمة عدد الأجزاء 7 عدد الصفحات 5962

عنتره عدد الأجزاء 8 عدد الصفحات 2624

الظاهر بيبرس عدد الأجزاء 5 عدد الصفحات 2600

بني هلال عدد الأجزاء 3 عدد الصفحات 1352

سيف ذي يزن عدد الأجزاء 4 عدد الصفحات 1511

حمزة البهلوان عدد الأجزاء 4 عدد الصفحات 1198

الزير سالم عدد الأجزاء 1 عدد الصفحات 203

علي الزبيق عدد الأجزاء 2 عدد الصفحات 316

فيروز شاه عدد الأجزاء 1 عدد الصفحات 312

3-السيرة الهلالية

3-1 قبيلة بني هلال بين الريادة والتغربة

ينحدر الهلاليون من أراضي نجد العربية الضاربة في أعماق الجزيرة العربية المعروفة التي تتمركز بين اليمن والعراق وتُحامة التي "صبغت الهلاليين بطابعها فجعلتهم أدنى إلى الجبلين بسطة جسم وصلابة عود إلى كثير من الاستعلاء لا يدين جانبهم وهم أهل عاطفة لكن أشداء على الأعداء"⁶ فقد ذكرهم المؤرخون في كتب التاريخ ورصدوا معاركهم وغزواتهم كما تتبعوا المناطق التي نزحوا إليها واستقروا بها فكانت أخبارهم تسير على الألسن مجرى الماء في الغدير لتتحول إلى قصص وروايات

وعن تسمية الهلاليين فقد اختلفت التفاسير بين قديم وحديث إذ يرجع القدماء الاسم "هلال" إلى المرجعية الطوطمية ومنهم من كان يعتقد أنها من أسماء النجوم فقد أطلق العرب القدماء على مواليدهم بأسماء النجوم من مثل الفتق و الدوس والعبلاء و ميران وهلال والتي كان موجودة عند قبيلة قيس وقحطان وكنانة .

لقد أسس الهلاليون مكانة رفيعة في زمنهم فتحالفوا مع غيرهم وتحاصموا مع قبائل أخوى يقول أبي الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني: "اجتاح قوم الحجاج من الأزد بني هلال بن عامر فعرفهم سيد منهم فقتلوا فيهم وسبوا منهم" ⁷ .وقد عرف عنهم تحالفهم مع هورازن ضد كنانة "فقد كان الهلاليون من أقوى قبائل الأرض وأخصبهم أرضاً وأوفرهم عدداً"⁸

كان بينهم وبين هوازن صلة القرابة بالدم فانتصروا لهم ودخلوا على جانبهم في معارك طاحنة منها "معركة يوم الشؤبان ويوم فيف الريح ودارت بينها وبين غطفان غارات أشهرها معركة الرحران"⁹

فداع لهم الصيت وشاعوا بين الأمصار القريبة والبعيدة لشدة بطشهم وعصبيتهم التي كان يخشاها من يجاورها من القبائل فأصبحت أيامهم وأحداثها تروى كما القصص العجيبة يقول سمي عبد الباقي: "السيرة الهلالية أجمل ما رواه الرواة وأحلى ما تغنى به الشعراء فيها حكايات إنسانية وصور ونماذج بشرية في أكثر أحداثها الدرامية"¹⁰ .

وفي العصر الإسلامي استطاعت القبيلة أن تدخل تحت لواء الرسالة المحمدية وأن تقف وراء الدعوة فقد نزل هلال بمكة ليقابل الرسول وينظم لصفوف جيشه فطاف برجاله البيت الحرام وقدم المال والرجال في سبيل نصره الدين"¹¹

ولما وافت المنية خير خلق البرية كثرت الردة وخرج البعض عن المسار السليم فكثرت الشحنة والمكر وتكاثر على المسلمين حيل المتآمرين حتى كادوا يفرقونهم لولا أنهم تمسكوا بجبل الله فطغى بعضهم على بعض حتى تداعت قوتهم وتبدد شأهم فأغار القوي على الضعيف وعاد الاختلاف يطل بردائه الأسود الدامي فتخلت قبائل عديدة عن ديارها وركبت فيافي الهجرة إلى أمصار تنشد فيها السلام والسكينة فكانت أكبر تغريبة في التاريخ العربي هي التغريبة الهلالية.

3-2 "استيطانهم بلاد المغرب :

في ظل التهديدات المتكررة على القبيلة الهلالية وتفاقم الوضع بعد الجفاف الذي ضرب البلاد كان لزاما البحث عن أماكن جديدة فمروا عبر الفرات ووصلوا العراق ثم عرجوا على المقدس والمجد الأقصى وفبة الصخرة ثم وصلوا غزة وكانت وجهتهم تونس حيث كان يحكمها خليفة الزناتي .

هذه الشخصية التي كانت أحد أقطاب السيرة الهلالية فلما وصلوا حدود بلاد المغرب شنوا حربا ضروسا على المنطقة وكانت المعارك سجال بينهم حتى قتل الحاكم الزناتي خليفة .

وفي هذا الموطن الجديد تقاسم الأمراء من قبيلة بني هلال النواحي وغنموا الأموال وتوسعوا في المناطق المجاورة فتملكوا البلاد والعباد فكان أبو زيد و ذياب حكاما على قابس والقلعة وسيريت والقيروان و طنجة ووصلوا الأندلس

ولكنهم سرعان ما تملكهم الذاتية ليتنمر ذياب على أبوزيد الهلالي فينصب الفخاخ من أجل أن يستأثر بالحكم وهي أحداث مستوحاة من الواقع التاريخي جسدت السيرة الشعبية بأسلوب شيق و رشيق

3-3-الجمع والتأليف : ذاعت أخبار الهلاليين فوصلت إلى القصاصين والمنشدين فجعلوها في دواوين مستقلة ومازالوا بها يضيفون ويحذفون حتى استقام لها ما يتناسب مع البيئة فقسموها إلى ثلاث حلقات " وكان التقسيم مكانيا فكانت الحلقة الأولى عن استيطانهم بلاد السرو والثانية نقلهم إلى نجد والثالثة تغريبهم وانتصارهم وفتوحاتهم للأمصار والقلاع" ¹² .

وفي كل مرحلة من الحلقات كانت تحدث أحداث جسام يقودها مجموعة من الشخصيات القيادية في قبيلة بني هلال فرصدت السيرة تفاصيل هذه الحياة و طرق التعامل في الجوانب الحياتية المختلفة السياسية والاجتماعية والثقافية .

4-السيرة الهلالية عند المستشرقين :

-رينيه باسات "réne passet (1885):

عرف بالقصة فتتبع محتواها وشرع في تحليلها فأورد الأخبار التي ذكرها ابن خلدون ثم ترجم القصة إلى اللغة الفرنسية.

-المستشرق الألماني أهاوارد: جمع فهرسة للمخطوطات العربية بمكتبة برلين وكم صمناها مخطوطة أبو زيد الهلالي

-المستشرق الألماني مارتن هارتمن 1898 :نشر بحثه بعنوان سيرة بني هلال وأسماءها westwung تحدث فيها عن الريادة والتغريبة

-الفرد بال :كتب مؤلفا عنوانه الجازية 1903 تحدث فيه عن اللهجات الزناتية

-ابن خلدون :ذكر أعلام الغزوة الهلالية

التعالق النصي في السير الهلالية

إن الحديث عن السيرة الشعبية يعود بالباحث إلى الأطوار التي مرت بها والمصبات التي وفدت عليها فأغنتها بمصادر الإبداع الذي يعتمد على العامل المتخيل في توارد المشاهد و تعالقها مع نصوص خارجة عنها تمدها بالطاقة الجمالية والأبعاد الدلالية المختلفة و تعالق النصوص ضرورة في العملية الإبداعية تفتح أفق التصور والتخيل وفي السيرة الشعبية التي : "هي عالم مفتوح على الأنساق الثقافية ومعرفية متباينة "على حد قول أيكه هولتكرانس حيث تتضافر في نسج الخطاب السردى تلك الإيقاعية المتمثلة في الشعر لتستكمل تفاصيل المشهد على نحو ما قال حسن بن سرحان للخفاجي عامر :

ونحن يا أمير لنا في الغرب سادة بأرض الزناتي يا ملك الجنازر
جئنا جميعا بأمر لأجلكم لكي نخلصكم يضرب البواتر
ونحن ضيوفك يا خفاجي اهتدي بجاه النبي فخر الورى والعشائر
فدعنا نثني الخير بدرنا حتى نصل للغرب وأرض الجزائر

وفي هذا السياق تظهر قصة متوارية خلف هذه المنظومة الشعرية تتمثل في استعطاف الملك عامر ومحاولة التودد إليه حتى يسهل دخولهم الأراضي .

5- تجليات المنظومة القيمية في السيرة الهلالية :

في سيرة بني هلال كم هائل من المعايير القيمية التي تحيل على نمط معين من الحياة تحكمه المبادئ الصارمة وتسيره العادات والتقاليد وفي كل مرحلة تظهر أنماط جديدة من الوعي الجمعي الذي يتعايش مع المتغيرات الطارئة عليه ففي الحلقة الأولى التي تتجلى حياة الهلاليين في العصر الجاهلي حيث تظهر النعرات القبلية التي كانت سائدة في مختلف القبائل العربية تحكمها قوانين التحالفات تارة وتفرقها الخلافات حول العروش تارة أخرى فقد عاصرت قبيلة الهلاليين العديد من الصراعات كانت تحاول من خلالها تعزيز مكانتها بين القبائل العربية

كما عرضت السيرة الأولى لظاهرة كانت شائعة في العصر الجاهلي والتي تتقابل مع قصة عنتره ابن شداد فقد كان البطل بركات وهو الاسم الحقيقي لأبو زيد الهلالي الذي ولد ببشرة سوداء فتنكر منه الأب ملك القبيلة فقد جاء في السيرة : "أن الأمير رزق زرق بولد من خضرة وقبلها بزمان كانت قد رأت سربا من الطيور المختلفة قد انقض

عليها طائر أسود فأتى عليهم جميعا فتمنت أن يكون لها غلام على شاكلة هذا الطير و لو كان أسود البشرة. فكان لها ذلك...¹³ فكانت ردة فعل الأب هي النفور من فلذة كبده ونفيه مع أمه خارج القبيلة وفي هذا المقطع السردى تتمظهر صورة التمييز بين البشر على أساس اللون فقد كان الأفراد ذوي البشرة الفاحمة من المنبوذين الذين لا يتمتعون بحقوقهم كالبقية بل يعملون معاملة العبيد والرق حتى لو جاءوا من نسل نبيل -ومن ناحية أخرى تظهر صورة المرأة المقهورة التي ترضخ للزوج الذي عاقبها بالنفي وكيف تنمو عندها مشاعر الكره والانتقام من الزوج الظالم الذي رمى بها في غياهب الصحراء وفي مقطع سردي آخر تظهر علاقة الأبوة بالبنوة التي تخضع لأعراف القبيلة وتقاليدها فهذا التخلي شكل من أشكال القطيعة التي خلقت فئة في المجتمعات القبائلية القديمة تعاني من الحرمان العاطفي والعقد النفسية التي تتراكم في اللاوعي الفردي لتتحول إلى ردة فعل عنيفة وهو ما ظهر في الأحداث التي تصور مواجهة الابن لأبيه في مشهد درامي متأزم .

ومن المفارقات التي يتدخل فيها القدر ليغير مسار الأحداث ماجاء عن أبو زيد الهلالي في "أنه تربى عند الأمير فضل الذي دربه وعلمه أصول الكر والفر والطراد كما لقنه أساليب الحيل ومعارف الدين والدنيا"¹⁴ فكان فتى ذا معرفة بطرق الحرب و أحاييلها كل هذا كان يهيئ لمواجهة بين الأب وابنه في مكيدة صنعتها الأم التي أخبرت أبو زيد الهلالي أن رزق هو قاتل أباه رغبة في الانتقام ومنه يمكن القول أن السيرة الشعبية طافحة بالقيم المتناقضة التي تعكس الحالة الداخلية للإنسان الذي يعيش في صراع مع ماضيه.

وفي نفس السياق تفتح تفاصيل موعلة في المعتقدات القبلية وهي الأخذ بالثأر فقد عرف عن القبائل العربية في جاهليتها وحتى يومنا هذا في بعض مناطق الصعيد بمصر الاعتماد على القصاص بالثأر للمقتول فرغم أن الإسلام قد نهى عن القتل ودعا إلى التسامح وحبب في التعايش السلمي بين الأفراد يقول تعالى في محكم تنزيله "﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝۱۵﴾

إلا أن هذه الظاهرة لا تزال تزدهق فيها الأرواح وتباد الأنفس وفي السيرة الهلالية عديد المشاهد والإحالات التي ترصد هذه الأحداث .

وفي السياق المقابل تنضح السيرة الهلالية بالقيم الأخلاقية العالية التي هي من شيم الرجل العربي يفاخر بها أينما حل وارتحل كمد يد العون للغير وإسناد الغريب وإكرام الضيف هذه الخصال التي لا تكاد تخلو كمها السيرة ففي مشهد جديد تظهر الأم حاملة ابنها بعد أن طردت من القبيلة فيراها الأمير فضل الذي رأف بحالها فقربها من أسرته و حباها وطفلها بالرعاية حتى اشتد عوده وقوي عضده .

والفروسية قيمة أخرى يتغنى بها العرب وهي رمز البطولات والقوة فقد عرف عن أبو زيد الهلالي شجاعته في رد الضيم عن الضعفاء فهو الغارس الذي يستغاث به عند الخطر شأنه شأن عنزة بن شداد الذي عرفت سيرته أوجها عديدة من الفروسية "فأبو زيد الهلالي في لحظة تاريخية وثقافية كانت تغلب عليه الملامح الأسطورية بما

يبعده عن الإنسان العادي بدأ من حدث مولده وارتباطه بالنبوءة ثم ظهور قوة جسدية ومهارات فردية وقدرات عقلية وأخلاقية عالية¹⁶

وغير بعيد عن هذا الطرح تظهر المرأة العربية الأصيلة التي تعززت مكانتها بعد الإسلام وفي السيرة شخصية الجازية الحكيمة والفارسة المثلثة التي تقاتل كالرجال تصول وتجول في ميدان المعركة وهذا إسقاط على صورة المرأة العربية التي تزاحم الرجل في أعماله والتاريخ العربي يسجل مثل هذه المشاهد التي صارت فيها المرأة إلى جانب الرجل في أحلك أوقاته . ويمكن تمثيل المقابلة على النحو التالي :

المرأة ← المفهوم العام ← قدرات محدودة تعتمد على الإسناد من الآخر (شخصية خضراء الشريفة)

المرأة ← في واقع السيرة ← الذكاء / الحكمة / القيادة / المسؤولية / القوة (خداة الجازية لذياب وتمكنها منه بالتعاون مع اليتامى).

6. الخاتمة :

ومن خلال هذا الطرح تتكشف المنظومة القيمية التي تميزت بها السيرة الشعبية في مقدمتها السيرة الهلالية التي لا تزال بحاجة للدراسة والبحث ففي جوهرها أسرار السرد العربي وفنيات التعبير الراقية التي تتمازج في بنيتها الدلالية مع الشعر من اجل استحضار الثقافة العربية خاصة العادات المصرية التي لا تكاد تخلو منها السيرة الهلالية وعليه يمكن استخلاص ما يلي :

- حققت السيرة الشعبية كما هائلا من المعايير الاجتماعية والثقافية والأبعاد السياسية في الأقسام الثلاثة
- عرفت السيرة الهلالية بشخصيات كان لها وجودها المادي الواقعي لتلتحف الخيال الرحب وتمتزج مع الأسلوب الشيق الذي يستثير السامع والمتلقي
- جاء في السيرة فضاءات مكانية متعددة جرت فيها حوادث دفعت بوتيرة الحكي بتقدم من مسار معلوم يبدأ بذكر الأشخاص وعلاقتهم بالمكان ومدى التأثير فيهم من خلال الطبيعة ومظاهرها إلى لحظات التأزم التي كانت تشحن السيرة

- في السيرة صورة للمرأة العربية بكل تفاصيلها في لحظة الضعف والقوة وفي حالات الفرح والفرح
- تبدوا التغرية الهلالية أنموذجا قابل للممارسة النقدية بالمناهج النسقية التي تبحث في جمالية الأدب
- إن الهجرات التي قام بها الهلاليون تدلي بتفاصيل كفاح الإنسان وبجته الدؤوب عن الأمن والسلام
- ومنه يمكن القول أن السيرة الشعبية أنموذج يمكن الاعتماد به في التنشئة التربوية باعتبارها تقدم حملات من الجوانب الأخلاقية التي يمكن استثمارها في الحياة العامة
- لا تزال سيرة بني هلال مصدرا ملهما للدراسات الاجتماعية وعلم النفس والأخلاق وبفيد في ذكر الأنساب لعلم التاريخ معارف جمة

كما أن التغريبية الهلالية أنموذج للرحلة الطويلة التي يعيشها الإنسان من استقرار و ترحال ونصر و انكسار تتقاذفه الأقدار إلى أقطار وأمصار لم يكن يتوقعها وهو حال الهلاليين الذين لا تزال أخبارهم وأسرار هجرتهم مجال البحث والدراسة .

7.الهوامش:

- ¹ - صفاء ذياب -تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية -دار ميزوبوتاميا العراق ط1ت2015ص25
- ² - فاروق خور رشيد -أضواء على السيرة الشعبية :المكتبة الثقافية -جار القلم -1964ص47
- ³ - المصدر نفسه ص26
- ⁴ - أنظر :شوقي عبد الحكيم -السير والملاحم الشعبية -القاهرة -ت2012ص89
- ⁵ - سعيد يقطين:قال الراوي -البنائية الحكائية في السير الشعبية /المركز الثقافي العربي "ط1ت1997ص56
- ⁶ - عبد الحميد يونس - الهلالية في التاريخ والسيرة الشعبية مطبعة جامعة القاهرة ت1956ص27
- ⁷ - المصدر نفسه ص "32
- ⁸ - المصدر نفسه ص32
- ⁹ - عبد الحميد يونس :الهلالية في التاريخ والسيرة الشعبية ص47
- ¹⁰ - سمير عبد الباقي -على هامش السيرة الهلالية -المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ط1ت2005ص5
- ¹¹ - انظر المصدر نفسه ص62
- ¹² - عبد الحميد يونس-الهلالية في التاريخ والسيرة الشعبية ص108
- ¹³ - أنظر شوقي عبد الحكيم :سيرة بني هلال -القاهرة 2012ص120
- ¹⁴ - المصدر نفسه ص123
- ¹⁵ - سورة الحجرات الآية 13
- ¹⁶ - سيد ضيف الله-آليات السرد بين الشفاهية والكتابة الهيئة العامة لقصور الثقافة -القاهرة ت2008ص60

8.قائمة المراجع:

1. سعيد يقطين:قال الراوي -البنائية الحكائية في السير الشعبية /المركز الثقافي العربي "ط1ت1997.
2. سمير عبد الباقي -على هامش السيرة الهلالية -المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ط1ت2005.
3. سيد ضيف الله-آليات السرد بين الشفاهية والكتابة الهيئة العامة لقصور الثقافة -القاهرة ت2008.
4. شوقي عبد الحكيم -السير والملاحم الشعبية -القاهرة -ت2012.
5. صفاء ذياب -تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية -دار ميزوبوتاميا العراق ط1ت2015.
6. عبد الحميد يونس - الهلالية في التاريخ والسيرة الشعبية مطبعة جامعة القاهرة ت1956.
7. فاروق خور رشيد -أضواء على السيرة الشعبية :المكتبة الثقافية -جار القلم -1964.